بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: ١٠١ **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ: ١٣/ ٢٠٢٤/١١م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

قبل البدء بآية جديدة، لا بأس بالإشارة إلى بعض العبر والدروس التي تستفاد من الآية التي بحثناها ﴿إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقيلا﴾.

تتكلم هذه الآية المباركة عن جماعة يعيشون بيننا في المجتمع، نراهم كل يوم، نعاشرهم، نلتقي بهم، لكن هؤلاء امتازوا عن الأبرار التي أطنبت الآيات السابقة في ذكرهم وبيان حالهم.

هؤلاء يحبون النقد ويكرهون النسيئة، يستعجلون ويرون أن ما هو في محضرهم في الحال هو الأولى مما وعدوا به وخبئ لهم في الغيب. فهؤلاء يحبون العاجلة، يرغبون بالنقد وبالشيء الموجود فعلاً، ولو كان هذا المرغوب والمحبوب أمراً آنياً سريع الزوال. هؤلاء كل همهم اليوم الذي يعيشون فيه.

فرق بينكم أيها المؤمنون وبين هؤلاء، أنتم آمنتم بالغيب وتركتم شهوات هذه الدنيا لغيب لم تروه؛ لأن إيمانكم راسخ. أما هؤلاء الذين ضعف الإيمان في قلوبهم يريدون أن يتمتعوا في هذه العاجلة.

فإذاً بينكم وبينهم اختلاف حقيقي واختلاف جوهري، في المضمون وفي الطريق، فطريقهم لا يلتقي بطريقكم، طريقكم كدح إلى الآخرة وإلى مرضاة الله تبارك وتعالى، وطريقهم كدح أمام شهوة عابرة، يريدون أن يشبعوا رغباتهم وغرائزهم، هذا هو همهم الكبير.

فإذا كان الأمر كذلك فـ ﴿لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ هؤلاء لا يطاعوا؛ لأن طريقك وطريقهم منفصل عن بعضه البعض.

فهذه الآية المباركة من جهة فيها تنبيه لأولئك، وفيها تثبيت لخط الإيمان، التنبيه لأولئك؛ لأن هؤلاء قد غفلوا ووضعوا خلف ظهورهم ﴿يَوْماً ثَقيلا﴾ ففيه نوع من التهديد وفيه نوع من التنبيه، فهؤلاء يعيشون في غفلة، لا يلتفتون إلى المستقبل القريب الذي يأتهم فجأة، فهو تنبيه وتحذير لهم.

وفي الوقت نفسه يثبّت المؤمنين على الخط والطريق الذي يمشون عليه. لما نلتفت إلى أننا لسنا كهؤلاء الذين هم ﴿إِلاَّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلا﴾[1] همهم شهوتهم، همهم علفهم. أما نحن ينبغي أن نترفع عن ذلك، ويكون همنا مرضاة الله سبحانه وتعالى، والحذر من يوم وصف في القرآن الكريم بأنه ثقيل.

فإذاً هو تنبيه وتحذير لأولئك الفئة، وتثبيت لفئة الأبرار وأهل الإيمان.

هذا خلاصة ما يمكن أن يستفاد من هذه الآية المباركة.

الآية الثامنة والعشرين، قال: ﴿نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَشَدَدْنا أَسْرَهُمْ وَإِذا شِئْنا بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْديلاً﴾.

ما زال الحديث عن هؤلاء، الذين قال عنهم ﴿هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ﴾ هؤلاء ماذا يظنون؟ هل يظنون أنهم معجزي الله تبارك وتعالى حتى ينحرفوا عن حدوده ويتركوا القيم التي سنها لهم؟ هل هم معجزون لله تبارك وتعالى؟ والحال ﴿نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَشَدَدْنا أَسْرَهُمْ وَإِذا شِئْنا بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْديلاً﴾.

هذه الآية المباركة ما زالت ضمن السياق الواحد مع الآيات الأخرى المتقدمة، فلم نبدأ بسياق جديد، فما زلنا في ضمن المقطع الذي بدأ بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزيلاً﴾.

بعد أن بيّن أن الكافر والأثيم يشتري العاجلة ويبيع الآخرة، جاء بتهديد لهم، هم غافلون عنه، الناس بالنسبة لخالقية الباري تبارك وتعالى على أصناف:

الصنف الأول: لا يؤمن بالخالقية، وهم الملاحدة.

الصنف الثاني: يؤمن بالخالقية، وهم المؤمنون. وهؤلاء الذين يؤمنون بالخالقية على طائفتين:

الطائفة الأولى: ترى أن الله خلقنا وانتهت القضية، فنعمل ما نشاء. هذا وإن لم يكن عند الكثير من الناس من الأمور التي يصرّح بها، ربما قد لا نجد شخصاً يقول الله تعالى خلقني لكن تركني على هواي ولا يتدخل في ذلك. نعم توجد فرق بائدة الذين كانوا يعتقدون بالنجوم وما شابه ذلك. لكن قد لا يصرّح نظرياً بهذه العقيدة. لكنه في مقام العمل يعمل على هذا الأساس.

---

[1] الفرقان: ٤٤

وتحدثنا الآيات الكريمة على أن بعض الناس إنما أنكروا المعاد لا لبرهان قام عندهم، كوجود برهان فلسفي عقلي قام على لديهم أنه لا يوجد ولا يوجد حساب، فهؤلاء لا برهان لهم؛ لأن المعاد والحساب هو مقتضى عدالة الله، هو مقتضى حكمته، هو مقتضى رحمته كما تشير الآيات الكثيرة إلى ذلك.

وإنما هؤلاء ينكرون المعاد ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ﴾[٢] لأجل ذلك ينكر المعاد، يريد أن لا يكون مقيد بقيود، يريد أن يكون فاجراً يعمل ما يريد. فإنكاره للمعاد من منطلق رغبته وشهوته التي لا يريدها أن تتقيد بقيد.

ففي مقام العمل عندنا أشخاص من هذا القبيل، يؤمنون أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقهم، لكن التدبير والقيمومة والدوام عملياً لا يؤمنون به. فجاءت هذه الآية لتقول فكّروا من الذي خلقكم؟ من الذي شد أسركم؟ ومن الذي يبقيكم؟ لأنه إن شاء أفناكم وبدلكم بغيركم ﴿نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَشَدَدْنا أَسْرَهُمْ وَإِذا شِئْنا بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْديلاً﴾.

فإذاً هذا تنبيه آخر لهذه الطائفة، وتثبيت -أيضاً- لأهل الإيمان وللأبرار الذين يسيرون على هذا الخط ويؤمنون بهذه الحقيقة، فيكون هذا التأكيد بهذه الآية فيه نوع من الطمأنينة والتثبيت لهم.

وهذا في القرآن الكريم تكرر في أكثر من آية، نجد في سورة النساء ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكانَ اللَّهُ عَلى ذلِكَ قَديراً﴾[٣] هذا الذي أبدع من لا شيء يستطيع أن يفني الشيء، فقدرته ليست محدودة، يقول في سورة إبراهيم ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَديدٍ (١٩) وَما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[٤] قدرة الله سبحانه وتعالى واسعة.

فإذاً هذه الآية ما زالت في السياق نفسه، وفي الوقت نفسه تحذر وتنبه الكفور والأثيم، وفي نفس الوقت تثبت وتعطي الطمأنينة لأهل الإيمان.

أما شرح بعض مفردات هذه الآية، من المفردات التي يمكن أن يتوقف عندها:

المفردة الأولى: ﴿أَسْرَهُمْ﴾ ما معنى الأسر؟

---

[٢] القيامة: ٥
[٣] النساء: ١٣٣
[٤] إبراهيم: ١٩-٢٠

المتتبع لكلمات علماء التفسير يجد أنهم اختلفوا هذه الكلمة على معنيين:

المعنى الأول: الأسر بمعنى الأوصال، شددنا أوصالهم وثبتناها، شددنا العظم بالعصب، جعلنا على العظام عضلات تحافظ عليها وتشدها وتثبتها.

المعنى الثاني: يظهر من جماعة من قدماء مفسري العامة أن كلمة الأسر تعني الخلق، فتكون الآية خلقناهم وشددنا خلقهم، أي جاء خلقهم محكماً ثابتاً.